كارل بوبر في الدراسات العربية

بقلم/الدكتورة رشيدة عبة

جامعة الجزائر(2)

ملخص

يدور محور هذا المقال في فلسفة كارل بوبر بين الرفض والتأييد العربي من جهة، و عرض بعض النّماذج من الدّراسات العربية التي أساءت أو نقول ابتعدت عن فهم بعض المفاهيم البوبرية، كمعيار إمكان التكذيب وما يرتبط به من مفاهيم كالمنهج الفرضي الاستنباطي، التعزيز، النظرية العلمية، عبارات الأساس من جهة أخرى. كما يهدف هذا المقال إلى إبراز مسألة هامة تتعلق بمعرفة ما مدى حضور كارل بوبر في الفكر العربي ومدى استفادة هذا الفكر من فلسفته.و من أجل هذا الغرض، عرضنا بعض النّماذج العربية التي تناولت فلسفة كارل بوبر بالدّراسة مثل: يمنى طريف الخولي، محمد محمد قاسم، محمد أحمد السيد، حنان علي عواضة، لخضر مذبوح، ماهر عبد القادر محمد علي.

1- أفكار كارل بوبر الفلسفية بين القبول والرفض العربي: (معيار إمكان التكذيب، الاستقراء).

شهد الوطن العربي ظهور العديد من الكتب والمقالات تناولت أفكار أهم فيلسوف العلم في القرن العشرين ألا وهو كارل بوبر (Popper, Karl) (1902-1994)، وذلك بعدما ذاع صيته في الأوساط الأكاديمية العربية، فعلى سبيل المثال قامت الدكتورة المصرية يمنى طريف الخوليبدراسة أكاديمية لفلسفة كارل بوبر، حيث صدر لها عام 1988م كتاب بعنوان " فلسفة كارل بوبر " الذي وصفته قائلة: "...فإن الكتاب في صورته الراهنة ظل يحوي مجمل فلسفة بوبر، بسائر عناصرها بل وتفاصيلها، لم يترك كبيرة ولا صغيرة إلا وعالجها بإطناب أو أشار إليها باقتضاب" (يمنى طريف الخولي. (أ).1989). وفي هذا المؤلف صّرحت بوضوح تام عن موقفها من فلسفته، حيث قالت: " ...فقد أصبح من الواضح الآن أن فلسفة بوبر اتجاه عظيم أصيل مجدد متسق مترابط، يمثل إضافة حقيقية للفلسفة. وقبل أن يضيف ويبني يأخذ على عاتقه هدم الأوثان التي لا بل لأحد بمعارضتها، وعلى رأس هاتيك الأوثان، الاستقراء وحصر الفلسفة على التحليل اللغوي..."(يمنى طريف الخولي. (ب).1989).

كما نجدها أيضا قد صّرحت عن موقفها من الاستقراء، وهو موقف مماثل لما ذهب إليه كارل بوبر، تقول في هذا الصدد:" من يدرس أعمال بوبر بإتقان ونزاهة، لا بد حتما أن ينتهي إلى التحرج من التفوه بلفظ الاستقراء" (يمنى

طريف الخولي. (ج).1989). وفي موضع آخر من المؤلف تقول: " إن ما يجب أن نرفضه الآن هو اعتبار قوانين العلم أو قوانين البناء المعرفي في أية مرحلة من مراحله، محض تعميمات للخبرة، وهذا الرفض أصبح الآن محصلة منطقية ضرورية...". (يمنى طريف الخولي. (د).1989). يمكن أن يؤخذ طرحها على أنه دعوة إلى اللاستقراء، كما يظهر ذلك في جعل رفض الاستقراء ضرورة منطقية.

أما عن موقفها من نظرية بوبر في تمييز بين العلم واللاعلم على أساس امكان التكذيب فهو الموقف المؤيد حيث قالت "لكن بوبر قد وفق في وضع معيار لا يستبعد الميتافيزيقا فحسب، بل أيضا كل ما ليس علما إخباريا لأنه بحق معيار للمعرفة العلمية، إن الأغلبية لا تدري شيئا عن معيار القابلية للتكذيب القادر والراسخ والمكين... معيار القابلية للتكذيب بلا جدال أقوى وأصوب وأمتن منطقيا وفلسفيا وعلميا، بما لا يقارن بهذا التحقق". (يمنى طريف الخولي. (و).1989).

إن أقصى ما يمكن قوله، هو أن الدكتورة يمنى طريف الخولي تُعد من الجيل المتأثر بفلسفة كارل بوبر بل ومن أشد أنصار فلسفته في الوطن العربي، ويظهر ذلك في خطاباتها السّالفة.

في مقابل نظرة يمنى طريف الخولي الشوفينية – إن صح التعبير- نجد الدكتور محمد محمد قاسم قد تناول هو الآخر فلسفة كارل بوبر في كتاب له بعنوان: كارل بوبر نظرية المعرفة في ضوء المنهج العلمي، حيث اعتبرها ناجحة لأنها تنادي بالتجديد في مسار العلم والمعرفة ولا تتوقف على التقليد، وهذا ما جعلها علامة بارزة في تاريخ تطور الفكر الإنساني (محمد محمد قاسم.(أ). 1995) لكن الدكتور محمد قاسم سلك اتجاها مغايرا لما ذهبت إليه الدكتورة يمنى طريف الخولي، حين رفض موقف بوبر المناهض للاستقراء حيث يقول: " إذا كنا نتفق مع بوبر في أن نهجه بصفة عامة هو وصف لما تم بالفعل في تاريخ العلم، إلا أن ذلك لا يدعونا إلى الاستغناء عن الاستقراء- كمنهج على الأقل- في بعض تطبيقاته... لا نوافق بوبر إذن على أن الاستقراء مجرد أسطورة، وإنما هو وسيلة طيبة ثبت فعاليتها حتى الآن في الحياة اليومية وفي بعض التجارب المعملية على الأقل"(محمد محمد قاسم.(ب). 1995)، وهذا الموقف الرافض الذي تبناه محمد محمد قاسم تجاه فكر بوبر حول رفضه للاستقراء يتقاسمه مع كل من الدكتورة حنان علي عواضة في كتابها الموسوم: النزعة العلمية في فلسفة كارل بوبر بين التجربة والميتافيزيقا، والدكتور محمد محمد السيد في مؤلفه: التمييز بين العلم واللاعلم . تقول حنان علي عواضة:"إن بوبر- في رأينا- قد بالغ في رفضه لمبدأ الاستقراء حيث هناك

قضايا لا يمكن معرفتها إلا من خلال الاستقراء الذي قد يساعدنا على إيجاد القوانين العلمية، مثل النار تحرق، أو قطع رقبة كائن...إلخ، ومن الخطأ رفض مبدأ الاستقراء بصورة مطلقة، هذا من جانب ومن جانب أخر قد يكون هذا المبدأ، في بعض الحالات، ضعيف أي لا يوجد ربط بين "العلة والمعلول" كالمثل الذي جاء به رسل في الإشارة إلى الفرخ الذي يذهب إليه الإنسان كل يوم لإطعامه... ويأتي يوم يذهب إليه ليذبحه، أو كمثل الحركة داخل الذرة" (حنان علي عواضة. (أ). 2002).

أما عن أهمية ما قدّمه كارل بوبر فإنها تقول: "قد ساهم اسهاما واضحا في تطوير العلم، وأعطى النظريات العلمية دفعة جديدة إلى الأمام، وذلك من خلال تأثيره المباشر على تطور النظريات العلمية في القرن العشرين. وهذا يؤكد لنا أن بوبر يعد من الفلاسفة الذين حاولوا تنقية الأفكار والنظريات الفلسفية من كل ما هو غير علمي "(حنان علي عواضة. (ب). 2002).

أما الدكتور محمد محمد السيد فقد صّرح أنّنا "نستطيع أن نضع كارل بوبر، دون أدنى مبالغة في مقام الفلاسفة العظام الذين أثروا الفكر الفلسفي والعلمي معا" (محمد محمد السيد. (أ). 1996) لكنه اتخذ موقفا سلبيا تجاه فكرة كارل بوبر القائلة برفض الاستقراء حيث يقول: " ينطلق هجوم بوبر على الاستقراء من فهم خاطئ لطبيعة المنهج الاستقرائي، فقد اعتقد أننا نستطيع الاستغناء عن تصورات منهجية معينة كالصدق والكذب والاحتمال وغيرها..." وفي موضع آخر من الكتاب يقول: "وعلى الرغم من اتفاقنا مع بوبر في القول بأهمية القابلية للتكذيب، إلا أننا لا نستطيع أن نغفل دور الاستقراء في العلم، ولا نستطيع أن نوافق على قول بوبر بأننا لسنا في حاجة إلى الاستقراء على الإطلاق. إن مجرد فكرة التعلم من الخبرة تقوم على أساس استقرائي، بل إن مفهوم العقلانية، وهو أحد المفاهيم المفضلة لدى بوبر، يقوم أيضا على أساس استقرائي" (محمد محمد السيد. (ب). 1996).

أما عن موقفه من معيار إمكان الكذيب فإنه صّرح قائلا:" على الرغم من ثبات بوبر في موقفه الرافض للاستقراء والاحتمال إلا أن معيار القابلية للتكذيب ذاته لا يمكن أن ينجح في تفسير نمو المعرفة العلمية، أو في التمييز بين العلم واللاعلم دون الاستعانة ببعض مبادئ الاستقراء" (محمد محمد السيد. (ج). 1996). كما قام محمد السيد بنقد فكرة "عبارة الأساس" (Propositions de Base)واعتبرها بديلا لقضايا البروتوكول (Propositions Protocolaires)عند الوضعيين المناطقة، على اعتبار أن هناك علاقة بين عبارات الأساس والخبرات الحسية.

2- <u>معيار إمكان التكذيب البوبري والتأويل العربي:</u>

أرى أن أقدم بعض الملاحظات حول ما سبق، فأقول أنه رغم حضور كارل بوبر في كتاباتنا العربية، ورغم أن بعض أفكاره تعرضت لانتقادات من طرف مفكرين العرب إلا أنه يؤخذ على مفكرينا أن قراءتهم كانت سطحية وسلبية- إن صح التعبير- لأنها أولا: لم تطرح أي بديل وثانيا: وجدت بعض الدّراسات أساءت وابتعدت عن فهم بعض الأفكار البوبرية، سواء تلك التي تتعلق بمفهوم النظرية العلمية عند كارل بوبر، أو التمييز بين العبارة الكلية والعبارة الشخصية الوجودية، المنهج الاستنباطي كما تصوره بوبر، عدم التمييز بين إمكان التكذيب كمعيار للعلم والتكذيب كممارسة اجرائية.

أ- مفهوم النظرية العلمية:

الملاحظة الأولى التي يمكن إبداؤها هي أن بعض الدارسين لفلسفة كارل بوبر لم ينجحوا في ضبط بعض المفاهيم البوبرية، كالنظرية العلمية، المنهج الاستنباطي، الخلط بين مصطلح التكذيب وإمكان التكذيب. فمثلا يقول الدكتور ماهر عبد القادر محمد علي يقول في مقدمة كتاب منطق الكشف العلمي الذي ترجمه عام 1986: "...أما العبارات الشخصية فهي دائما تشير إلى ما يمكن ملاحظته مباشرة في قطاعات مخصوصة من الزمان والمكان، ولا تنتمي العبارات الكلية إلى مثل هذا التحديد. وإنما تشير إلى كل قطاعات الزمان والمكان..." كارل بوبر (أ). 1986)، و بعد هذا صرح قائلا: "إن بوبر ينظر للنظريات العلمية على أنها نظريات وصفية فهي تشير إلى ما قد نلاحظه في أي قطاع من الزمان والمكان" كارل بوبر (ب). 1986)

الملاحظ لهذين النّصين يجد أن صاحبها لم ينجح في ضبط مفهوم النظرية العلمية عند كارل بوبر حيث وقع في يتناقض مع نفسه، فهو من جهة، يعرف العبارة الكلية بأنها تشير إلى كل مجال زماني ومكاني، باعتبارها تعميميات كلية غير معروفة زمانا ومكانا، ومن جهة أخرى، يعتقد أن النظريات العلمية عند كارل بوبر هي نظريات وصفية لما نلاحظه في أي مجال من الزمان والمكان، لكن لو كانت النظريات العلمية –كما اعتقد- وصفية لوجب أن تكون تقريرية وجودية، لأنها والحال هذه ستصف وتثبت وجود حالات واقعية ملاحظة، في حين النظريات العلمية ينظر إليها كارل بوبر على أنها عبارات كلية إنها فروض صورية لا وجودية فهي لا تقرر أي شيئ، بل تمنع وجوده يقول بوبر في هذا الصدد: "النظريات العلمية هي عبارات كلية " (1975 (أ) Popper,K.)وفي موضع آخر من كتابه منطق الكشف العلمي يصرح أن العبارة الكلية هي عبارة صارمة لا تشير إلى مجال زماني مكاني معين(1975 (ب)) .Popper,K)و في سياق الحديث، جدنا أيضا الأستاذ لخضر مذبوح يقول في مقاله الموسوم "كارل بوبر ومشكلة المعرفة الاستقرائية": "النظرية

العلمية عند بوبر نسق أكسيومي مكون من قضايا تحليلية كلية تسمح بمساعدة شروط أولية مناسبة، باعطاء تفسير (علي) أو سببي، لوقائع معبر عنها بقضايا شخصيةénoncés Singuliers أو الذي منه نقوم بالتنبؤ" (لخضر مذبوح. (أ).) . المأخذ على صاحب النّص هو أن ما أورده ليس بتعريف حقيقي للنظرية العلمية عند كارل بوبر ؛ خصوصا أنه تجاهل التمييز بين العبارة التركيبية والعبارة التحليلية. هل يعقل –كما اعتقد صاحب النص- أن تكون النظرية العلمية عند بوبر قضية تحليلية، وكارل بوبر ذاته يصرح بأن النظريات العلمية هي عبارات كلية والعبارة الكلية هي عبارة تركيبية لا تحليلية (كارل بوبر. (أ). 1992) فمن المفروض، مجرد القول عبارة تحليلية يفهم أنها عبارات تكرارية أو تحصيل حاصل، (Tautologies) إنها لا تقرر أي شيئ عن الواقع الخارجي، فعلى سبيل المثال لا الحصر العبارة القائلة:"كل أعزب غير متزوج"، نستطيع بالتحليل التأكد من أن كلمة "غير متزوج" ما هي إلا تكرار لكلمة "أعزب"، فالمحمول(غير متزوج) لا يضيف إلى الموضوع(أعزب) شيئا جديدا (المحمول هو الموضوع نفسه). كما أن القضية القائلة: "2+2=4" ليست إلا تحليلا وتكرارا، فالعدد"4" يتضمن العدد"2" مرتين. والقضية التكرارية في المنطق المعاصر هي العبارة التي تكون صادقة في جميع الحالات، أي يستحيل بطلانها إنها ترادف القانون المنطقي، ومعيار الصدق والكذب في هذه العبارات يقوم على أساس منطقي أي يشترط فيها لتكون صادقة عدم الوقوع في تناقض، وهذا النوع من العبارات التحليلية نجده في العلوم الصورية. أما العبارات التركيبية أو كما تسمى بلغة المنطق القضايا العارضة (يحتمل صدقها ويحتمل بطلانها)، فإنها عبارات العلوم التجريبية، مثال ذلك "كل المعادن تتمدد بالحرارة " هذه العبارة تنقل خبرا عن العالم الواقعي، فهي إذن إخبارية ولا يُعرف صدقها أو كذبها بالرجوع إلى ذاتها- كما هو الحال في القضايا التحليلية - وإنما إلى شيئ خارج عنها، وذلك يتم بين ما تقوله العبارة وواقع العالم الخارجي، وهذا النوع من العبارات التركيبية نجدها في العلوم التجريبية. ولا يعقل أن يرتكب كارل بوبر الخلط بين العبارات التحليلية والتركيبية.

ب- <u>المنهج الاستنباطي:</u>

أما فيما يخص مسألة ضبط مفهوم المنهج الاستنباطي عند كارل بوبر ، فإننا وجدنا أيضا بعض الأخطاء تتعلق في عدم ضبط المفهوم، فعلى سبيل المثال ورد في كتاب الدكتور الشريف زيتوني : <u>مشروعية الميتافيزيقا من الناحية المنطقية</u> مايلي: " إن هذا التعميم(كل الغربان سود) في نظر (بوبر) لا يمكن التحقق من صدقه لمجرد رؤيتنا لمجموعة متناهية من الغربان في حين يمكن

تكذيبه بملاحظة حالة واحدة لغراب أسود" (الشريف زيتوني. (أ). 2006) هذا النّص يحمل في طياته خطأ مفاده أن العبارة الكلية القائلة: [كل الغربان سود]يمكن تكذيبها بالعبارة القائلة: [يوجد غراب أسود]، في حين أن التعميم القائل : [كل الغربان سود] يمكن تكذيبه بملاحظة حالة واحدة سالبة لغراب اسود، أو نقول، بملاحظة وجود حالة واحدة لغراب لا أسود، وهذا وفق قاعدة رفع التالي التي تنص على أن "تكذيب الكليات يكون بتكذيب العبارات الشخصية الوجودية التي تتناقض معها"رفع التالي يؤدي إلى رفع المقدم. إضافة إلى هذا يمكننا الإشارة إلى أن الأستاذ الدكتور أخطأ فهم القاعدة المنطقية الاستنباطية التي يقوم عليها معيار إمكان التكذيب البوبري، حين قال:" هذا المفهوم(الاستقراء) لا يمكن أن يستقيم مع المنطق البوبري الذي ينطلق من قاعدة منطقية صورية استنباطية تقول: إذا كان صدق الكليات يؤدي إلى صدق الجزئيات، فإن صدق الجزئيات لا يسمح لنا أن نحكم على الكليات بهذا الصدق، وإنما نكتفي بالقول عنها إنها غير معروفة، ولهذا فإن نتائج الاستنباط تكون يقينية دائما" (الشريف زيتوني. (ب). 2006).

في حين المنطق البوبري ينطلق من قاعدة منطقية استنباطية خالصة هي قاعدة رفع التالي(Modus Tollens)، يقول بوبر: "من الممكن، بالتالي، أن نبرهن بصدق العبارات الشخصية على كذب العبارات الكلية، بواسطة استدلالات استنتباطية خالصة (هي حالة الرفع بالترفع في المنطق الكلاسيكي)"(1975 (ج) .Popper,K). ويقول أيضا:" قبول صدق بعض العبارات التجريبية يسمح لنا أحيانا بتبرير إثبات أن النظرية التفسيرية الكلية كاذبة"(1998 (أ) .Popper,K).

وبهذا ومن خلال هذين النّصين، فإننا نقول إن القاعدة المنطقية التي اعتمد عليها كارل بوبر تقوم على المنطق الاستنباطي حالة الرفع بالرفع، فمنطقيا يمكن تبرير استدلال كذب الكليات من كذب الجزئيات، وبالتالي، فإن صدق الجزئيات (التي تعد بمثابة قضايا شخصية وجودية) يؤدي إلى كذب الكليات، فالتناقض هو ما يحكم العلاقة بين القضيتين (الكلية والجزئية)، وهذا ينتج عنه أن صدق الجزئيات يسمح لنا أن نحكم على الكليات بالكذب ولا نقول عنها أنها غير معروفة، وبالتالي، فالاستنتاج متعذر. إذن القاعدة المنطقية القائمة على حالة الرفع بالرفع والمتمثلة في :

إذا كان المقدم فإن التالي
لكن نفي التالي

إذن نفي المقدم

تعد الطريقة في إثبات كذب العبارات الكلية والتي تمثل بالنسبة إلى كارل بوبر الاستدلال الأوحد الذي ينتقل الفكر بموجبه من صدق الجزئيات إلى إثبات كذب الكليات.

إضافة إلى هذا فإن الاستدلال الاستقرائي هو الاستدلال الذي يقوم على أن صدق الجزئيات لا يسمح لنا أن نحكم على الكليات بهذا الصدق، وإنما نكتفي بالقول عنها إنها غير معروفة أو احتمالية، إنه كما يصطلح عليه الاستقراء الاحتمالي. ثم إن قول الدكتور زيتوني المتعلق بـ "نتائج الاستنباط تكون يقينية دائما" وفق المنطق البوبري، فهذا مخالف لمنطق بوبر، على اعتبار أن الاستنباط الذي تحدث عنه بوبر- كما أسلفنا سابقا- هو استنباط فرضي أين تكون نتائجه نسبية احتمالية، وليس استنباطا تحليليا أين تكون نتائجه يقينية، ويقول بوبر عن هذا الاستدلال الاستنباطي باعتباره منهج فرضي أنه " لا يحقق اليقين المطلق لأي من العبارات العلمية التي يختبرها؛ وإنما تحتفظ هذه العبارات دائما بطابع الفروض المؤقتة"(كارل بوبر. (ب). 1992). فالمعرفة اليقينية عند بوبر لا وجود لها، لذا يجب علينا أن نتحقق باستمرار من الواقع لأن كل ما يوجد هو معرفة تخمينية(1999 (أ) .Popper,K). وفي موضع آخر من الكتاب يقول:" لا يمكننا أبدا الوصول إلى اليقين"(1999 (ب) .Popper,K).

الحاصل إذن هو أن الدكتور الشريف زيتوني ظن خطأ - حسب ما يبدو- وابتعد عن فهم القاعدة المنطقية الاستنباطية التي استند عليها معيار إمكان التكذيب البوبري.

حنان علي عواضة هي الأخرى ابتعدت عن فهم المنهج الاستنباطي كما تصوره كارل بوبر حيث وجدناها تقول في كتابها: النزعة العلمية في فلسفة كارل بوبر ما يلي:" وفيما يتعلق بالمنهج الاستنباطي عند بوبر فهو المنهج الذي يستخدمه لكشف القوانين الكلية حيث لا يمكن معرفة العالم إلاّ عن طريق الاستنباط البحث".(ح، ع، عواضة. (ج) 2002) هذه وجهة نظر لا تتفق مع رأي كارل بوبر لأن المنهج عند بوبر لا يستخدم لكشف القوانين الكلية بل لتبريرها، وفي هذا الشأن يقول بوبر:" المنهج في العلم ليس هو الفن أو الكيفية التي نكتشف بها شيئا ما، بل هو الطريقة التي نبرره بها"(1999 (أ) Popper,K.)فالقوانين الكلية مجرد فروض تخمينية يضعها العالم مسبقا ولا يكتشفها، وذلك لأن منهج العلم هومنهج التخمينات الجريئة والمحاولات الفذة لإثبات بطلان هذه التخمينات. وفي موضع آخر من كتابه بحثا عن عالم أفضل يقول: "إن القوانين لا تقرأ من الطبيعة، وإنما هي من فعل نيوتن إنها من

منتجات عقله، من ابتكاره: إن عقل الإنسان يبتكر قوانين الطبيعة".(كارل بوبر. (أ). 1966).

إضافة إلى هذا وجدنا السيد نفادي يقول أثناء ترجمته لمقال إمري لاكاتوش الموسوم: تاريخ العلم وإعادة بناءاته العقلانية History of science and its rational reconstructions "...إن نموذج بوبر الاستنباطي في النقد العلمي يشمل على قضايا زمكانية كلية يمكن تكذيبها أمبريقيا، وعلى شروط أولية ونتائجها، وسلاح النقد هو إثبات التالي modus tollens : فلسنا في حاجة إلى منطق استقرائي ولا إلى بساطة حدسية يزيدان من تعقيد الصورة".(آيان هاكينغ. (أ). 1996) لقد ترجم صاحب النص مصطلحmodus tollens بلفظ "إثبات التالي"، في حين هذا الأخير يقصد بهmodus ponnens أما modus tollens فهو " رفع التالي".

ج- عدم التمييز بين معيار إمكان التكذيب كمعيار للعلم و التكذيب كمنهج.

نواصل الحديث عن بعض الأخطاء التي وقع فيها الدكتور زيتوني، هذه المرة عندما استخدم مصطلح معيار التكذيب بدلا من استخدامه لمصطلح معيار إمكان التكذيب ظنا منه أن الأول مرادف للثاني حيث يقول:"...وبذلك تمكن (كارل بوبر) من الكشف عن تناقض منطقي بين معيار إمكان التحقق ومعيار التكذيب... إذن معيار التكذيب critère de falsificationكما وضعه (كارل بوبر) لا يهدف إلى استبعاد أي قضية مهما كان نوعها..." (الشريف زيتوني. (ج). 2006) في حين ميز بوبر بوضوح تام بين مصطلح التكذيب(Falsification) ومصطلح إمكان التكذيب(Falsifiabilité)، الأول (التكذيب) هو إجراء يقوم أساسا على الاختبار الفعلي للفروض حيث يتحدد بإتباع القواعد التي تحدد الشروط التي تسمح بتكذيب النسق.(كارل بوبر. (ج). 1992). أما الثاني (إمكان التكذيب) فإنه يشير إلى المعيار الذي يحدد الخاصية التجريبية لنسق من العبارات، وعليه، عندما نتحدث عن المعيار نستخدم مصطلح إمكان التكذيب، أما عندما نتحدث عن المنهج، أو العملية الاختبارية فإننا نستخدم مصطلح التكذيب.

يقول محمد السيد عند اقتراحه لمعيار جديد: " ينقسم المعيار الجديد إلى أربعة مستويات بدل من المستويات الثلاث التي تحدث عنها بوبر، المستوى الأول هو مستوى العبارات الأساسية أو تقارير الملاحظات، وتتحدد قيمة الصدق في هذا المستوى وفقا لتقارير الملاحظات المرتبطة بالخبرة الحسية. ويختص المستوى الثاني بالعبارات العلمية والتي ينبغي أن تقبل التكذيب بمفهوم بوبر، وإن كنت أضيف هنا نقطة هامة غير موجودة عنده، وهي قابلية هذا النوع من العبارات

للتأييد أيضا. فهذه العبارات تكون قابلة للتكذيب والتأييد معاconfirmable."(محمد محمد السيد. (د). 1996).

ويضيف قائلا:" ... ولتوضيح الأمر دعنا نفترض أن (ت) أحد تقارير الملاحظات والذي يمكن أن نعتبره مكذبا محتملا للنظرية (ن)، أنا أقول، خلافا لرأي بوبر، أن كل مرة نلاحظ فيها (ت) المكذبة ل (ن)، أو نلاحظ (لا-ت) إن صح التعبير، فإن ذلك يؤيد أو يدعم النظرية(ن)، ومن هنا نكون نجحنا في استخدام التحقق والتكذيب في الوقت ذاته".(محمد محمد السيد. (و). 1996).

في المقابل يقول كارل بوبر: " عبارة الأساس التي تكذب النظرية هي نفسها التي يؤيد الفرض القابل للتكذيب في الوقت ذاته". (1975 (د) .Popper,K)

هذا النص تأكيد من بوبر أن العبارات العلمية تكون قابلة للتكذيب والتأييد معا بمعنى التعزيز، وبالتالي، يكون محمد السيد لم يضف شيئا جديدا أو نقطة جديدة – في رأينا- ما دام بوبر نفسه صرح بأن العبارات العلمية تكون قابلة للتكذيب والتعزيز معا. وهذا الأخير هو نوع من التأييد، كارل بوبر افترض أن (ت) قضية أساس ملاحظة التي يمكن أن نعتبرها مكذبا محتملا للنظرية إذا لم تتناقض (ت) مع (ن) فإن ذلك يعزز النظرية التي هي بمثابة لفرض، وبالتالي، فإن محمد السيد لم يميز بين عبارة الأساس التي " تكذب النظرية " وبين عبارة الأساس التي " تتسق مع النظرية " فتؤيدها أو تعززها، خصوصا وأن بوبر قسم عبارة الأساس-كما أسلفنا- إلى فئتين، وهذا ما لم ينتبه إليه محمد السيد- في نظرنا-.

لقد اعتقد محمد أحمد محمد السيد أن كارل بوبر يشارك الوضعيين المناطقة في موقفهم المعادي للميتافيزيقا حيث يقول:"... ومن هنا نستطيع أن نفهم اشتراك بوبر مع الوضعيين في موقفهم المعادي للميتافيزيقا، حتى وإن أعلن أهمية قضاياها، فهو يشترك مع الوضعيين في رفض اعتبارها لونا من ألوان المعرفة الصحيحة".(محمد محمد السيد. (هـ). 1996).

ما يلاحظ في هذا النص هو أنه يحتوي ضمنيا على صيغة شرطية مفادها: إذا كان بوبر يشترك مع الوضعيين (الوضعيين المناطقة) في رفض اعتبار الميتافيزيقا لونا من ألوان المعرفة الصحيحة، فإنه يشترك في موقفهم المعادي للميتافيزيقا، فكأن القول بأن الميتافيزيقا لا تنتمي إلى المعرفة الصحيحة يستلزم عداء الميتافيزيقا، هذا ما تضمنه نص محمد السيد، لكن صاحب النص – حسب رأينا- ابتعد عن فهم حقيقة المعرفة الصحيحة عند بوبر، خصوصا أنه لم يوضح مفهومها حيث ترك المجال مفتوحا للمناقشة والنقد. فالمعرفة الصحيحة عند بوبر هي المعرفة العلمية والمعرفة العلمية هي المعرفة القابلة للتكذيب والميتافيزيقا على الرغم من أنها لا تنتمي إلى قضايا العلم التجريبي إلا أنها

ليست عديمة المعنى أو لغوا كما اعتقد الوضعيين "...أنا لا أظن أن الميتافيزيقا لغو..."(Popper,K. (أ) 1992)وفي موضع آخر من مؤلفه منطق الكشف العلمي صرح قائلا:"...في مقابل هذه الدعوة المضادة للميتافيزيقا تكمن مهمتي الأساسية كما أراها لا في رفض الميتافيزيقا، بل تتجه إلى صياغة السمة الأساسية الملائمة للعلم التجريبي بطريقة تجعلنا قادرين على أن نقدم نسقا من العبارات أوثق ارتباطا بدراسة العلم التجريبي"(1975 (و)) Popper,K.

يتضح من خلال هذه النصوص أن بوبر لم يشن عداء على الميتافيزيقا ولم يرفضها ولم يعتبرها لغوا لا طائل منه، وهذا – حسب رأينا- مسوّغ يفند الحكم الذي أصدره محمد السيد والقاضي أن "بوبر يشترك الوضعيين في موقفهم المعادي للميتافيزيقا"، إضافة إلى هذا عندما يصنف بوبر الميتافيزيقا خارج دائرة المعرفة الصحيحة التي هي المعرفة العلمية فهذا لا يعني أنه يقف موقفا معاديا للميتافيزيقا كما هو الحال عند الوضعيين لأن المعرفة الصحيحة عند هؤلاء هي المعرفة التي لها معنى، وكل معرفة تخرج عن إطار ذي معنى فهي لغو أو لا معنى لها وهذا هو الذي يعتبر موقفا معاديا للميتافيزيقا .

المصادر والمراجع :

أ - المصادر بالعربية والأجنبية:

1- بوبر، كارل (1998): الحياة بأسرها حلول لمشاكل: ترجمة بهاء درويش، (مصر: الحرمين للكمبيوتر) .

2- .....(1986): منطق الكشف العلمي، ترجمة ماهر عبد القادر محمد علي،(لبنان: دار النهضة العربية للطباعة والنشر).

3- كارل بوبر: بحثا عن عالم أفضل" محاضرات ومقالات ثلاثين عاما"، ترجمة أحمد مستجي(القاهرة:الهيئة المصرية العامة للكتب،1966).

4-.....،بؤس الإيديولوجيا، نقد مبدأ الأنماط في التطور التاريخي، ترجمة عبد الحميد صبره، ط 1، (بيروت: دار الساقي للطبعة العربية، 1992)

(1)- Popper,Karl ,R. (1973) :La logique de la découverte scientifique,traduit Nicole Thyssen - Rutten et Philippe Devaux,(éditions,Payot,Paris).

(2) ---------- (1985) : Conjectures et Réfutations, , tad, Michelle Irène et Marc B de Launay, (éditions Payot, Paris).

(3)---------- (1998) : La connaissance objective, trad de l'anglais par Jean-jacques Rosat, (éditions, Flammarion, Paris).

(4)----------.(1992) : Réalism and the Aim of science,édited by WW. Batley, III, (Routlege, London and New york).
(5)----------(1975) : The logic of scientific discovery, (Hutchinson ofLondon).

ب- المراجع بالعربية والأجنبية:

1- ديوي، جون (1960): المنطق، نظرية البحث، ترجمة زكي نجيب محمود(مصر، دار المعارف).
2- فيتجنشتين، لودفيج(1968): رسالة منطقية فلسفية، ترجمة عزمي إسلام، (القاهرة: مكتبة أنجلو مصرية).
3- الشريف زيتوني، مشروعية الميتافيزيقا من الناحية المنطقية، (الجزائر: ديوان المطبوعات الجامعية، 2006).
4- محمد أحمد محمد السيد، التمييز بين العلم واللاعلم، (الإسكندرية:الناشر منشأة المعارف 1996).
5-حنان علي عواضة، النزعة العلمية في فلسفة كارل بوبر (بين التجربة والميتافزيقا)، ط1 (بيروت: دارالهادي، 2002).
6- مدخل جديد إلى فلسفة العلوم، كتاب جماعي إشراف الدكتور الزواوي بغورة، (الجزائر: مطبوعات لجامعة منتوري).
7-السيد نفادي، إشكالية الصدق بين المنطق والفلسفة، (مجلة الجمعية الفلسفية المصرية، العدد التاسع السنة التاسعة 2000
8- آيان هاكينغ، الثورات العلمية، ترجمة السيد نفاذي، (الاسكندرية:دار المعارف الجامعية 1996)
9- يمنى طريف الخولي، فلسفة كارل بوبر، منهج العلم منطق العلم (القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب 1989).

(1)- Ayer, Alfred,Jules.(1956) :Langage, vérité et logique, trad, Joseph Ohana, (éditeurs,Flammarion, Paris).
(2)---------- (1966) : Logical Positivism, (New york :the free press).
(3)-Carnap, R (1934) : La science et la métaphysique devant l'analyse logiquedulangage, tad, Vouillemin, Hermann, éditeurs, Paris,Actualités scientifiques et industrielles, n°172.
(4)- khaufmann, F (1950) : Quelques problème…in l'activité philosophique enFrance et aux U .S .A T1, (P.U.F, Paris).